**15**

**الجغرافيا النقدية**

**إيرينا ليسبيت سيريدوين كونون وآرشي دبليو سيمبسون**

تستند الجغرافيا النقدية الى فكرة أن البشرية لديها القدرة على تغيير البيئة. إنه يتحدى الأيديولوجيات المهيمنة التي تميز الهياكل السياسية الدولية ، وبالتالي تتعارض مع الفئات ووحدات التحليل التقليدية في العلاقات الدولية مثل الفوضى والأمن ومفهوم الدولة. وتستند الجغرافيا النقدية الى مبدأ التساؤلات حول العلاقات المكانية ، التي تشير إلى كيفية إرتباط كائن موجود داخل مساحة معينة بكائن آخر، هو مبدأ مهم لأن السلوك السياسي متأصل في الهياكل الاجتماعية والسياسية القائمة على الأفكار حول الفضاء. وبناء على ذلك، إذا ترسخت المنح الدراسية والسلوك السياسي في الهياكل الاجتماعية والسياسية ، يصبح التحليل الموضوعي للسياسة الدولية مستحيلاً. لا يمكن لنظرية العلاقات الدولية أن تعكس الوضع الكروي من وجهة نظر محايدة. يشير الجغرافيون الناقدون إلى أن الطرق البديلة للتفكير في الفضاء تنطوي على إمكانية تغيير الأفكار والنظريات والمناهج الأساسية التي تهيمن على دراسة السياسة الدولية. وهم في المقابل يأملون أن تساعد هذه المنحة البديلة في تحويل السياسة الدولية والحد من عدم المساواة بين البشر.

**أساسيات الجغرافيا الحرجة**

ظهرت الجغرافيا النقدية في السبعينيات كنقد للوضعية ، وهي شكل من أشكال المنح الدراسية القائمة على فكرة أن العالم موجود بشكل مستقل عن المراقبين. الجغرافيا النقدية متأصلة في الماركسية الجديدة وتعتمد على أفكار يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، الذين توسعوا في الأفكار داخل الماركسية الكلاسيكية من خلال استكشاف كيف يمكن أن يُنتج التحرر من عدم المساواة من العمليات السلمية بدلاً من العمل الثوري. وحاليا بدأ العلماء في دراسة كيف أدت الهياكل السياسية المهيمنة والمنح الدراسية إلى إدامة عدم المساواة السياسية القائمة.

شهدت نهاية الحرب الباردة في عام 1991 تطورات اقتصادية عالمية جديدة مصحوبة بتغيرات في التركيبة السكانية العالمية. في أوائل عام 1990 أدت الأهمية المتزايدة للجهات الفاعلة غير الحكومية مثل المنظمات غير الحكومية والشركات متعددة الجنسيات المصحوبة بزيادة القومية العرقية - حيث يتم تعريف الدول على أساس الأنتماء العرقي بدلاً من العضوية المدنية للدول وتم تعزيز أفكار جديدة بشأن الأمن و دور الدولة.

بدأت منحة العلاقات الدولية النقدية بالتركيز على كيف أن النظريات المهيمنة مثل الواقعية عززت علاقات القوة غير المتكافئة من خلال تفضيل الدول التي هيمنت على السياسة الدولية. بالاعتماد على أفكار كين بوث وريتشارد وين جونز من المدرسة الويلزية ، جادلوا حول انعدام الأمن البشري قد استمر بسبب الهياكل السياسية القائمة (بوث 1991 و 1997). ومن هذا المنطلق، بدأ العلماء في التطلع الى الجغرافيا النقدية ونظرية لوفيفرالنقدية للفضاء (1991) لدراسة كيف أدت الافتراضات حول الفضاء إلى استمرار حالات انعدام الأمن وعدم المساواة الحالية. وقد ارتبط بهذا الأمر باحثان مهمان وهما ديفيد هارفي وجون أجنيو ، اللذان أبرزا كيفية إزالة المفاهيم التقليدية للفضاء من سياق عمليات تشكيل الدولة وترسيخ المفاهيم التقليدية المستقطبة للفضاء بين الشرق والغرب والشمال والجنوب والبلدان النامية والمتقدمة في تفكير العلاقات الدولية ( أغنيو 1994 ؛ هارفي 2001 و 2006).

توفر الجغرافيا النقدية وسيلة لفحص السلوك السياسي الدولي ، بما في ذلك العلاقة بين الحكومات والشعوب ، وبين الدول على المستويين الإقليمي والعالمي ، وبين المنظمات الدولية والدول. وهناك عدد من الأفكار والمفاهيم الرئيسية في الجغرافيا النقدية التي تقدم تحليلات بديلة للعلاقات الدولية. وتتعلق إحدى الأفكار الرئيسية بمفهوم الحيز الإقليمي. جادل الفيلسوف هنري لوفيفر (1991) حول وجود ثلاث طرق للتفكير في الفضاء: من حيث المصطلحات المطلقة والنسبية وارتباطية. من منظور مطلق ، يُنظر إلى الفضاء على أنه ثابت وقابل للقياس. هذه الفكرة الثابتة حول الإقليم تدعم النظريات التقليدية للعلاقات الدولية. ولكن إذا افترضت أن هذا الإقليم ثابت ، فإن هذا يعزز الافتراضات حول العلاقات داخل وبين أقاليم معينة.

على سبيل المثال ، فكر في كيفية تمثيل العالم على خريطة سياسية قياسية. حيث تمثل الخريطة السياسية العالم من حيث الدول الفردية التي تنفصل عن بعضها البعض بحدود إقليمية. تأخذ وجهة النظر المطلقة حول الفضاء الكروي هذا النمط من التمثيل على أنه ثابت ، مما يعني أنه لن يأخذ في الاعتبار إمكانية إيجاد طرق بديلة لرسم خرائط العالم. تتجاهل هذه النظرة الثابتة أيضًا الكيفية التي تغيرت بها السياسة الدولية على مر التاريخ، حيث نجحت في تغيير شكل الفضاء الكروي مع ظهور دول ومؤسسات دولية جديدة.

إن وجهة النظر المطلقة حول الفضاء ليست الخيار الوحيد الذي يمتلكه العلماء للتفكير في فضاء الدولي والعالمي. كما يتحدى مفهوم لوفيفر للفضاء النسبي وجهة النظر المطلقة حول الفضاء. وينطوي هذا المفهوم على التفكير في الفضاء بطريقة لا تُعتبر الفضاء الكروي أنه " حاوية فارغة " أو مساحة ثابتة ، بل عبارة عن مساحة مليئة بالأشياء والعلاقات المترابطة" (مينا 2013). وعلاوة على ذلك ، ترى وجهة النظر النسبية حول الفضاء وجود هذا الفضاء كنتيجة للعلاقات بين الأشياء الموجودة داخل هذا الفضاء. ومن هنا، يمكن القول بأن الطرق التي نفهم بها الفضاء هي مُنتج عن مجموعة معينة من العلاقات.

على سبيل المثال ، إذا نظرنا إلى مساحات معينة من حيث كيفية ارتباطها بالمساحات الأخرى ، يمكننا أن نرى أنه عندما يتحدث العلماء عن "جنوب الكرة الأرضية" فإنهم يشيرون إلى الجنوب في علاقاتهم بـ "شمال الكرة الأرضية". يتم تقديم أفكار وتمثيلات "الشمال " و "الجنوب " أو "الشرق" و "الغرب" على أنها ناتجة عن العلاقات المستقطبة التي ميزت السياسة الدولية حتى نهاية الحرب الباردة.

يمكن استخدام وجهة النظر النسبية حول الفضاء لإثبات وجود وجهات نظر متعددة وطرق بديلة لتصور الفضاء من وجهات نظر دول معينة وجهات فاعلة دولية أخرى. على سبيل المثال ، عندما يصنف علماء العلاقات الدولية جميع الدول في نصف الكرة الجنوبي بإعتبار أنها تمثل الجنوب الكرة الأرضية ، فإن وجهة النظر هذه تفشل في الاعتراف بالاختلافات والعلاقات المعقدة القائمة بين الدول. يقودنا ذلك إلى افتراض أن جميع الدول في الجنوب متساوية من حيث قوتها السياسية والاقتصادية ، في حين أن هذا ليس هو الحال الذي يتمتع به الدول القوية في جنوب الكرة الأرضية مثل البرازيل التي تتمتع بقوة سياسية واقتصادية بقدر أعظم مقارنة بالدول الأكثر فقراً مثل ملاوي. فهي تفترض أن الدول في الجنوب ترى نفسها أيضًا قائمة على قدم المساواة مع جميع الدول الأخرى في الجنوب ، وهو تبسيط مفرط لأنه يتجاهل العديد من المنافسات الاقتصادية والسياسية الموجودة بين مختلف الدول في هذه المنطقة. كما أنه يفشل في الاعتراف بكيفية ارتباط دول معينة في الجنوب الكرة الأرضية سياسياً واقتصادياً بدول داخل شمال الكرة الأرضية من خلال الاتفاقيات التجارية.

تشير وجهة النظر الارتباطية حول الفضاء إلى أنه لا يمكن أن يوجد الفضاء بدون منظور المراقب، حيث أن الأشياء لا توجد إلا من حيث علاقاتها بالأشياء الأخرى. على سبيل المثال ، عندما نفكر في مكان ما ، يمكننا فقط التفكير فيه من منظور ما نعرفه عنه. وما نعرفه يقودنا إلى تشكيل آراء تؤثر على الشكل والتكوين الذي يأخذه الفضاء وإلى ايضا تطوير المُجادلات التي تدعم أو ترفض الأفكار والتطورات السياسية الموجودة مسبقًا. وفي المقابل، تؤثر هذه الآراء على القرارات السياسية التي تتخذها الجهات الفاعلة الدولية التي تشكل الفضاء الدولي والعالمي. ويمكن ملاحظة ذلك، على سبيل المثال، من حيث الموافقة على عضوية الدولة في المنظمات الإقليمية مثل الاتحاد الأوروبي. وبالتالي فإن الطريقة التي يفكر بها معظم العلماء في الحيز السياسي الدولي ويمثلونه من حيث الدول ذات السيادة وحدودها الإقليمية يمكن أن يقال إنها مُنتج عن منظور للفضاء.

التطورات في الأدبيات تدرس كيفية عمليات التغيير العالمي ونمو المنظمات السياسية البديلة ، مثل الحركات البيئية عبر الوطنية والمؤسسات الحكومية الأصلية، قد ساهمت في تشكيل الفضاء العالمي المعاصر (هارفي 2009). ينظر أحد هذه التطورات إلى كيفية صعود المؤسسات الحكومية للشعوب الأصلية في المنطقة القطبية الشمالية بتقديم وجهات نظر بديلة عن الفضاء تتحدى المفاهيم التقليدية للفضاء الدولي وتبحث في كيفية تأكيد نهج الإنويت على المسؤولية الجماعية عن البيئة خارج حدود الدولة (زيلين 2009). تطور حديث آخر يدرس كيف أدى توسع الرأسمالية الليبرالية الجديدة إلى زيادة التفاوت الاجتماعي والاقتصادي على نطاق عالمي، مما أدى إلى تهميش الفقراء داخل الدول القومية وفيما بينها، مع إسهام التمثيل القائم على الدولة في المؤسسات السياسية الدولية في زيادة عدم المساواة (هارفي 2009). وبالإضافة إلى ذلك، نظرًا لأن المخاوف المتعلقة بالأمن البشري المرتبطة بمخاطر وتأثيرات تغير المناخ العالمي تظهر بشكل متزايد في المقدمة في العلاقات الدولية، يمكن للجغرافيا النقدية أن توضح لنا كيف يمكن للأفكار السائدة بشأن الفضاء المتضمن في السياسة الدولية ونظرية العلاقات الدولية أن تعمل على إدامة عدم المساواة بين البشر وتهميش الأشخاص الأكثر عرضة للخطر بشكل مباشر بسبب التغير البيئي العالمي. تدفع الأفكار البديلة حول الفضاء العلماء على إعادة تقييم النطاق العالمي لمخاطر وآثار تغير المناخ وتقديم الدعم للمُجادلات التي تدعو إلى إصلاح تمثيلي في السياسة الدولية لوضع حد لعدم المساواة والتصدي للمخاطر المتزايدة التي يشكلها تغير المناخ بالنسبة للفئات المهمشة تقليديًا مثل السكان الأصليين.

**الجغرافيا النقدية ووجهات نظر الإنويت حول الفضاء**

الإنويت هم مجموعة من السكان الأصليين المتشابهين ثقافياً الذين يعيشون في مناطق القطب الشمالي في ألاسكا وكندا وجرينلاند والدنمارك وروسيا. تستند رؤيتهم للفضاء الإقليمي إلى التشابه الثقافي واستخدام الأرض لممارسات الصيد التقليدية بدلاً من حدود الدولة الوطنية. يمتد المدى المكاني لاحتلال الإنويت لأراضي القطب الشمالي عبر خمس دول , مما يوضح سيادتهم التاريخية على منطقة كبيرة. ومع ذلك لا تمثل الخرائط السياسية للعالم هذه المنطقة على أنها أرض إنويت. أو بالأصح يتم تقسيم المنطقة التي تغطيها أراضي الإنويت وتصنيفها ضمن حدود الدولة الفردية. عندما تم استعمار أراضي الإنويت من قبل القوى الأوروبية والأمريكية والروسية , أصبحت أراضيها جزءًا من أراضي الدولة الوطنية الاستعمارية وأصبح الإنويت خاضعين لحكومات الدولة الاستعمارية. اليوم , لا يزال من الممكن رؤية إرث الاستعمار في تمثيلات الفضاء السياسي الدولي , حيث يستمر تحديد غالبية الأعضاء في المؤسسات السياسية الدولية على أساس الدول ذات السيادة , مما يؤدي إلى التهميش السياسي المستمر للإنويت.

بدون تمثيل كافٍ على المستوى السياسي الدولي , لا يمكن لاهتمامات الإنويت حول الأمن والاستدامة البيئية أن تؤثر على السياسة الدولية بالقدر نفسه الذي يمكن لحكومات الولايات أن تؤثر عليه. علاوة على ذلك , فإن مدى تمثيل مصالح الإنويت في القرارات المتخذة على المستوى الدولي ضعيف. وينطبق هذا بشكل خاص عندما تتعارض مصالح الإنويت مع مصالح الحكومات , مثل إنشاء خطوط الأنابيب عبر أراضي الإنويت لنقل النفط بين الدول. ومع ذلك , من خلال تبني منظور الإنويت للأرض الذي يرفض تخطيط الدولة القومية للفضاء العالمي , يمكن للجغرافيين الناقدين تقديم تعريفات بديلة للإقليم وتقديم تمثيلات أكثر دقة.

يمثل الإنويت جزء صغير فقط من إجمالي عدد السكان داخل ولاية فردية - على سبيل المثال ، تم تسجيل 0.2٪ فقط من إجمالي السكان الكنديين على أنهم إنويت في تعداد 2011. ولكن عند التفكير في كيفية تأثير فقدان الجليد البحري في القطب الشمالي (بسبب تغير المناخ) على العدد الإجمالي للإنويت عبر كل دولة من الدول الخمس من خلال تعريف المنطقة على أنها تتكون من قواسم مشتركة ثقافية بدلاً من حدود الدولة , تظهر صورة أكبر بكثير من الناحية المكانية (داء هنتنغتون 2013). إن فقدان الجليد يعرض سبل العيش الاقتصادية والثقافية للإنويت للخطر ، لأنه يؤثر على أنشطة الصيد ويعرض القرى الساحلية لخطر التعرية والفيضانات.

عند النظر إليها من هذا المنظور , فإن المخاطر الأمنية على رفاهية الأشخاص عبر هذه المنطقة الكبيرة من العالم تبدو أكثر وضوحًا من تلك التي توفرها معظم نظريات العلاقات الدولية الأخرى. عندما يتبنى العلماء التعريفات المكانية التقليدية , فإنهم يبالغون في تبسيط الفضاء العالمي , وكما نرى في هذا المثال , أنهم يبالغون في تبسيط المدى الجغرافي للتهديدات التي يتعرض لها الأمن البشري. علاوة على ذلك , عندما يقوموا العلماء بتعريف الفضاء على أنه موجود فقط للدول المستقلة , فإنه يقصر دراسة آثار الكوارث البيئية على مقارنات بسيطة بين دولتين أو أكثر , مثل بين كندا والولايات المتحدة. وهذا يقوض الاختلافات في شدة آثار الكوارث الطبيعية داخل مناطق معينة من العالم. علاوة على ذلك , تتغاضى هذه الطريقة التقليدية في التحليل أيضًا عن كيفية عدم انتشار تهديدات الأمن البشري التي تشكلها الكوارث البيئية بشكل متساوٍ داخل أراضي الدولة الفردية. على سبيل المثال , أنها تقلل من شأن حقيقة أن الإنويت الذين يعيشون في ألاسكا معرضون لخطر اضطراب أكبر بكثير من آثار ذوبان الجليد البحري من الأشخاص الذين يعيشون في مناطق أخرى من الولايات المتحدة. كما أنه يقلل من أهمية تعرض المجتمعات الساحلية داخل ألاسكا لخطر الدمار الناجم عن الفيضانات والتعرية أكثر من المجتمعات الموجودة داخل المناطق الداخلية من الولاية.

يمكن أن يوفر فهم الإنويت للفضاء الإقليمي للباحثين أداة بديلة لإجراء تقييمات للإجراءات السياسية الدولية المتخذة للتخفيف من آثار التغير البيئي العالمي. يؤكد الجغرافيون الناقدون أن التحليلات التقليدية لأنماط النشاط السياسي الدولي تميل إلى التركيز على الإجراءات التي تتخذها المؤسسات الرسمية , مثل الأمم المتحدة , التي تستخدم وسائل الدولة القومية للتمثيل السياسي - ولكنها تشدد على أن هذا يضع قيودا على تقديرنا للأشكال الأوسع للعمل السياسي التي تم اتخاذها للتخفيف من تغير المناخ.

على سبيل المثال , إن غالبية التحليلات العلمية للهيئة الدولية المعنية بتغير المناخ في كوبنهاغن بالدنمارك في عام 2009 وصفت كيف تندرج آراء ممثلي الدول فيما يتعلق بالعمل بشأن تغير المناخ وانبعاثات غازات الاحتباس الحراري في ثلاثة معسكرات تتكون من : 1) أمريكا الشمالية وأوروبا , التي ساهمت أنشطتها الصناعية السابقة في معظم مشاكل تغير المناخ , 2) الدول الصناعية مثل دول البريكس ، التي تميل إلى رؤية أي بديل لانبعاثات الكربون كوسيلة لتغذية النمو الاقتصادي , 3) البلدان الأفقر , التي كان من المرجح أن تعترض على التغييرات على أساس أن التنمية والتخفيف من حدة الفقر يمثلان أهدافًا أكثر إلحاحًا (مينا 2013). ومع ذلك , يعتمد هذا النمط من التحليل على تقسيمات الأراضي التي تحددها مستويات التنمية الصناعية ويتجاهل الاختلافات في القدرات المؤثرة عبر وداخل الدول المجمعة داخل كل طبقة - على سبيل المثال , بين البرازيل والصين , أو بين أجزاء كبيرة من سكان جنوب إفريقيا.

تؤدي الطرق المفرطة في التبسيط في التفكير بشأن الفضاء السياسي الدولي إلى عدم مراعاة الأشكال البديلة للعمل السياسي , خاصة الإجراءات التي تتم خارج المؤسسات السياسية الدولية الرسمية بما في ذلك تلك التي تتخذها منظمات السكان الأصليين , التي تتجاوز مجالات تمثيلها وحكمها حدود الدولة القومية. على سبيل المثال , فإن الإنويت أعضاء في مجلس القطب الشمالي , وهو منظمة حكومية دولية تعالج القضايا التي تواجهها حكومات القطب الشمالي والسكان الأصليون. يأخذ الإنويت أدوارًا بارزة في صنع القرار في المجلس بدلاً من اقتصار مشاركتهم على مركز المراقب فقط - كما هو الحال في مؤتمرات القمة المعنية بالمناخ التي تعقدها الأمم المتحدة. تستند القرارات التي يتخذها الإنويت إلى إحساسهم بالقواسم المشتركة التي تتجاوز حدود الدولة. نظرًا لتأثيرهم في مجلس القطب الشمالي , فقد تمكنوا من تحقيق النجاح في تعزيز ثقافة الإدارة الجماعية للإدارة البيئية من خلال البحث عن مناقشة وحل مسألة ذات اهتمام مشترك لجميع الإنويت.

ومع ذلك , على الرغم من نجاح تمثيل الإنويت في مجلس القطب الشمالي , لا تزال الغالبية العظمى من الهيئات الحكومية للسكان الأصليين تقع خارج الهيكل التمثيلي السياسي الرسمي في مفاوضات تغير المناخ الدولية الأكبر. مجلس الإنويت القطبي هو منظمة غير حكومية معترف بها من قبل الأمم المتحدة والتي يُعرف جمهورها على أنهم سكان الإنويت في جرينلاند وألاسكا وكندا وروسيا. ومع ذلك , فإن مشاركتهم تقتصر في قمم الأمم المتحدة بشأن تغير المناخ على صفة "المراقب" لأنها ليست دولة ذات سيادة - وبالتالي تقيد صوتها. على هذا الأساس , يمكن القول بأن نظام تمثيل الدولة في قمم المناخ التي تعقدها الأمم المتحدة يزيد من تهميش مجموعات السكان الأصليين مثل الإنويت. نظرًا لأن التمثيل يُمنح على أساس أراضي الدولة بدلاً من مفاهيم الإنويت للأراضي , فإنه يعزز سلطة اتخاذ القرار للحكومات الاستعمارية السابقة , مما يمكّنها من ممارسة سيطرة أكبر على الشؤون الدولية , مما يعيق جهود الإنويت لتقرير المصير.

إن قوة الإنويت في تشكيل صنع القرار السياسي الدولي قد تتعرض لمزيد من التهميش إذا لم تتشكك منحة العلاقات الدولية بشكل نقدي في أفكار الدولة القومية حول الإقليم والتمثيل. من خلال تقديم مفاهيم بديلة للإقليم إلى المقدمة , تفتح الجغرافيا النقدية مساحة للتعرف واستكشاف طرق التمثيل البديلة التي تقلل عدم المساواة بين السكان الأصليين وحكومات الولايات. إذا كان الإنويت في خطر مباشر أكبر من آثار تغير المناخ العالمي, فإن الإصلاح التمثيلي سيمكنهم من أن يكون لهم صوت أكبر في إدارة هذه المخاطر.

**الخاتمة**

من خلال لفت الانتباه إلى الطرق البديلة التي يمكن من خلالها تخيل الفضاء , سعى الجغرافيون الناقدون إلى تغيير السياسة الدولية والفضاء العالمي. تسلط الجغرافيا النقدية الضوء على كيفية تأثير قضايا الاقتصاد وتغير المناخ على الناس وتبين أن الآثار المكانية لهذه العمليات تختلف عن كيفية التعامل معها من قبل الدول والمنظمات الدولية وداخل الأوساط الأكاديمية. توفر وجهة النظر الفريدة للجغرافيا النقدية طرقًا مفيدة لإعادة التفكير فيما نعرفه عن العلاقات الدولية من الناحيتين النظرية والتجريبية. إنه يتحدى الافتراضات حول الفضاء والأرض , ويقدم أدوات مفاهيمية وتحليلية جديدة ويشجع الطلاب على التساؤل عن التفكير السائد.